

الوافي في الوفيات

أحبا بـنا إن وـنـتْ عـنـي رسائلكم ... فلستُ أسألُ إلاّ الفصل والحسبا .
وحياتكم ما لنفسي عنكمُ بدلٌ ... كلاّ ولا اتّـخـذتُ في غيركم أرـبا .
أُعـيـذُ وـدّـكم من أن يغيـرـه ... نأى ولا جـرّـدـتْ من دون ذاك طـبـى .
لعلّـ دهرًا قضى بالبعد يجمعنا ... وقلّـ ما جاد دهرٌ بالـذـي سلبا .
أرضى بحكم زمانى وهو يظلمنى ... فيكم وأجنى ببعدى عنكم التعبا .
ولن يُطـفـّرـنـي إلاّ بـودّـكم ... يا حيرتى فيكمُ إن ردّـ ما وهبا .
نسيتمونى ولم أعتدّ سوى كـرـمٍ ... منكم يُـدوّـئـنى من فضلكم رُـتـبا .
حاشاكمُ أن تـرـوّـا هجرى بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حـُـجـبا .
عاقبتمونى ولا ذنبُ أتيتُ به ... فـقـُلْ عن الصخر إذ يقسو ولا عجا .
عودوا إلى جبر كسرى لا فـجـعـتُ بكم ... فقد لقيتُ ببعدى عنكمُ نصبا .
وكتب هو إليّ وأنا بدمشق وهو بصفد وقد طنّـ أـزّـى لمّا كنت بالقاهرة تملأتُ عليه
وعلم أنّ كافٍ :

إن كان ظنّـك أـزّـى لى لك ظالمٌ ... فارحمْ لأن تُسـمـى بأـزّـك راحمٌ .
حـسـبُ المسيء من القصاص بأـزّـه ... جرحٌ بجرحٍ والسعيد مسالمٌ .
كم قد حرصتُ على التـنـصّلـ عندما ... وقع العتابُ فما أقالـ الحاكمُ .
أنّ يعلم أـزّـى لى لك عاذرٌ ... وأنّ منّـى بالبراءة عالمٌ .
ها قد جرى لى ما جرى لك قبلها ... ووقعتُ في صفدٍ وأنفى راغمٌ .
إن صحّـ لى فيها عليك جنايةٌ ... فجزاؤها هذا العقابُ اللازمُ .
فاقنعْ به واذكر قديمَ مودّـتى ... فالعهدُ فيما بيننا متقادمٌ .
أولّـم يكنْ ذنبٌ وحالى ما ترى ... فامدّدْ إليّ يداً وجاهُك قائمٌ .
فلقد تأتّى ما تريد فوالـى ... منك الجميلـ فأزّـه لك دائمٌ .
جارّـ الزمانُ على وليّـك واعتدى ... وإليك للزمن الألدّـ يخاصمُ .
من كان ليس بنادمٍ مُستدرِكٍ ... فأنا عليك إلى مماتى نادمٌ .
كانتْ هناةٌ وانقضتْ ومـنـ الذى ... منّـا وليس له تـعـدّـ جرائمٌ .
إنّ الذى قـسـمَ الحظوظَ كما يشا ... للرزقـ ما بين البرايا قاسمٌ .
قُلْ وكثُرٌ وليس تبقى حالةٌ ... والدهر بين الناس بانٍ هادمٌ .
يا من له أخلصتُ كنْ لى مخلصاً ... فعلى مُجـارينا كلانا قادمٌ .

أعلنتُ بالشكوى لضرِّ مَسَّني ... لكنَّ ودِّي في الحقيقة سالمٌ .
ولك السيادة حليةٌ ومكارمٌ ... الأخلاقِ منها في يدك خواتمٌ .
فاقبلُ أخوَّتيَ الجديدةَ إنَّني ... فيها لمجدك أو لودِّك خادمٌ .
وإلى الرِّضى عُدُّ بي وللحُسنى أَعِدُّ ... حتَّى تقومَ على الصفاءِ علائمٌ .
والبسُّ رياستك السنية حُلَّة ... أبدأ لها من نسج سعدك راقمٌ .
واجعلُ لها شكرًا إقالةَ عثرةٍ ... من صاحبٍ قد صدَّ عنه العالمُ .
أنتَ الخليلُ بل الخليُّ من الهَوَى ... وأخوَّتي قد جرَّها لك آدمٌ .
فأعِنْ أخاك بحسن سعيك مرَّةً ... إنَّ المغارمَ في الإخاء مغانمٌ .

ولم يزل في كتابة الإنشاء بدمشق إلى أن طلبه القاضي علاء الدين بن فضل إلى باب
السلطان بمرسوم السلطان الملك المظفَّر فتوجَّه هو وولده شهاب الدين أحمد إلى الديار
المصرية في البريد . ورُتِّبَ زين الدين المذكور موقِّعاً في الدَّسَّات الشريفة بالأبواب
السلطانية وكان توجَّه من دمشق في يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأقام هناك
إلى أن توفي C وسامحه في ثامن عشرين صفر سنة تسع وأربعين وسبع مائة بعد مرض طويل قاسى
منه شدَّة .

ووقفتُ له على كتاب كان قد كتبه من صفد بخطِّه إلى القاضي علاء الدين ابن فضل وهو

: